مجلة المرابط

العدد : ٢٠٠ الموافق في ربيع الأول ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٧ ميلادي

| عنوان المقال : دعوة عامة | الكاتب : سها عبد الحميد أحمد |
|---|---|

## إلى الآباء والأمهات وإلى الدعاة والداعيات وإلى البنين والبنات

أروع ما في الإسلام أن منهج تربيته منهج رباني ، وخالق البشر أولى بهم من أنفسهم . إن منهج تربيتنا منهج مرن مساير لاختلاف الظروف والأحوال والعصور والأقطار... إننا نملك الاكتفاء الذاتي المطلق لأسس العلم التربوي الكامل ، ولسنا في حاجة إلى عمليات الاستيراد التي أصبحت من صلب تفكيرنا . وإن أساليبنا المعوجة المحشوة بثغرات دخيلة تؤكد لنا أننا أحوج ما نكون إلى إعادة دراستنا للعلم الإسلامي .

لقد اتفق علماء التربية الإسلامية على أن العلم الذي لا يؤدي إلى الفضيلة والكمال لا يستحق أن يسمى علماً ، وليس الغرض من التربية والتعلم حشو أذهان التلاميذ بالمعلومات ؛ بل الغرض تهذيب الأخلاق وتكوين رجال أقوياء العزيمة ، رحماء بالإنسانية ، نبلاء في سلوكهم ، قلوبهم إخلاص ، ونفوسهم طهارة ، ومناهجهم استقامة .

لذا كان المعلمون رجالاً يشعرون برقابة الله ، ويدركون أن التعليم وسيلة للتقوى . يقول الغزالي : « **من عَلِم وعمل وعلَّم فهو الذي يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات ؛ فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها ، وكالمسك الذي يطيب عبيره وهو طيب ، ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه** » [١] .

من الطبيعي جداً أن يصدر من المتعلمين نقص لا يكاد يخلو منه إنسان ، ولا بد لأي إنسان من كمٍّ من الأخطاء يرتكبها في حياته ، فلماذا لا ندعه يرتكبها وهو صغير فتكون صغيرة ؟. ولو ظهر من المتعلم سوء أدب فعلى المعلِّم بلا شك أن يزجره عن سوء الأخلاق ، لا بأساليبنا التي ما أنزل الله بها من سلطان... لا بالضرب ، ولا بالتجريح والتشهير والنقد المستمر... ، وإنما : « **بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرِّح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار** » [٢] .

مجلة المعلم

العدد : ٢٠٠ الموافق في ربيع الأول ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٧ ميلادي

| عنوان المقال : دعوة عامة | الكاتب : سها عبد الحميد أحمد |
|---|---|

إن المودة الصادقة والتفهم لنفسية المتعلم واستيعابه والرحمة به سرٌّ نجاح عملية التعليم ، وعلينا عندما نضيق صدراً بشغب أولادنا أو سوء أدبهم أن نستشعر أنهم نتاجنا ومرآة منهجنا ، ونسعى إلى فهم الدوافع ، وإنني أرى فيهم إيجابيات هائلة وخصالاً حميدة واستعداداً للعطاء والتجاوب .

إن المعلم تنكشف أمامه عورات تلاميذه وطبائعهم بلونيها الأبيض والأسود ، فإذا سترها وحرص على حفظها ضمن جدران قاعة الدرس فسيكون هذا أكبر درس وأبلغ تعليم في ستر العورات وحفظ أمانة المجالس . وبقليل من التشجيع والثناء ستكون الحوافز لحب التعلم أعمق والدوافع أغزر : « **إذا رأى المعلّم المتعلّم مصيباً في جوابه لم يخف عليه شدة الإعجاب وشكره وأثنى عليه بين أصحابه ليحثه وإياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد** » [٣] .

فهل نحن كرماء في الكلمة الطيبة أم أنه لم يتسن لسوء حظ الجاحظ أن يعاصرنا ، ويُدون بعض مواقفنا بين دفتي كتابه " البخلاء " تحت عنوان : [ شح الألسن والأعين عن تقدير أصحاب الهمم والقول الحسن ] .

لا بد للمعلم من أن يكون الرفيق الشغوف المحب المتزين بالحلم « **فما وُدِّيَ شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم** » [٤] .

إننا لا بد أن نعيد النظر في أساليب زراعتنا لتلك البذور التي سنسأل عنها يوم القيامة ، لا أن نتسمر عند مرحلة الحصاد نستسلم لسوء الإنتاج ، ونحتج على المحاصيل ، وبيننا وبين أنفسنا نقول لا يمكن أن يعاد إنتاج الإنسان الأصيل بل هو أساطير... بل نستطيع بعزم وهمة وحب وفهم صادق للعلم وخلق الدين... سنقدر وسيكون لأبنائنا ما نريد بالاحتواء والصبر والاحتساب ولن يكون الغد أبداً إلا للإسلام .

**كتاب الشيخ: صادق علوان**

**السويقة قصر حجاج دمشق**

**ملف التربية والتعليم.**

مجلة الرائد

العدد : ٢٠٠ الموافق في ربيع الأول ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٧ ميلادي

| عنوان المقال : دعوة عامة | الكاتب : سها عبد الحميد أحمد |
|---|---|

# وجبات...

# عقوبات تربوية مستوردة

كان ظلام تلك الليلة ظلاماً ذا مذاق خاص ، لازلت أحس بطعمه المرّ في كل وجبة تربوية جاهزة نقدمها لأولادنا ونرغمهم على التهامها إن استساغوا مذاقها أم لم يستسيغوا !!... دون معرفتنا للطريقة التي أعدت بها ، وإلى متى زمن صلاحها ، ولم يكن لها مكان على موائدنا التي دوّن التاريخ مذاق وجباتها الشهية ، وما قدمته للإنسان من النمو المتوازن والعافية المطلقة .

في تلك الليلة ارتمت أمي وهي في مطلع الثلاثينات في أحضان المرض مستسلمة لأوجاعه وقد تسلل إليها خفية ؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . كان إخواني نياماً في مضاجعهم ، وكنت مختبئاً في فراشي محاولاً تهدئة روع حبي لها ؛ فهي أغلى ما في حياتي... لقد كانت مثالاً للحنان والصبر والعطاء .

كنت أصغي إلى دبيب خطوات أبي المتلعثمة وهو يردد كلماته : يا رب تلطف بها... يا رب تلطف بها... أشرق الفجر لأعرف أن صمت أمي لم يكن لخلاصها من الوجع بل لأنها في غيبوبة ، وما هي إلا برهة قصيرة حتى كان أبي مع مجموعة من الأطباء في غرفتها... كان الباب مغلقاً بإحكام ؛ فلا يمكننا أن نسمع ، من صمتهم تارة ، ومن حوارهم تارة أخرى ، شيئاً... لكننا أحسسنا أن الأمر جد خطير... خرج الطبيب من غرفتها قائلاً لوالدي : هدئ نفسك وسلم أمرك لله... أغلق باب البيت ونظر إلينا نظرة خاطفة فلقد كانت وجوهنا مرآة لمصابه ، يخشى أن تتجلى له بهذا الوضوح الصارم وقال لنا : « هيا اذهبوا لمدارسكم لقد تأخرتم كثيراً... » استجبنا جميعاً لأمره .

أذكر تماماً أنه لم يفتني على الإطلاق مع حبي العميق العميق الذي أكنه في صدري لها ، ومع تعاطفي البليغ لحرقة والدي ، وبالرغم من ضوضاء الأصوات التي كانت تموج في أعماقي ، والتي لا يسمعها إلا عالم السر والعلن...

استطعت أن أميز بين الأصوات وأنصت باهتمام إلى توسلات زملائي الممزوجة بالبكاء ؛ أن يكف المعلم عن ضربهم المبرح ؛ عقاباً لهم إن تلعثموا في التلاوة أو قصروا في الحفظ . وبسرعة البرق استجبت لتحذير بديهتي ، وعرفت ما ينتظرني ، فحشوت طبقة من القطن في أسفل جواربي... كيف لا وأنا مخل بكل القواعد ومرتكب كل المخالفات الشرعية...

فاتتني الدروس الأولى ولم يسعفني فكري المشلول في كتابة واجباتي التي كانت مدراراً غزيراً دائماً... لقد سلبت آلام أمي كلّ حواسي ، ولم تكن مشاعري تخلو من الخيبة ؛ فقد تصورت أنني سأنهي زيارتي لهذا الكتّاب بسلام ، وأنا حريص دائماً على التقيد بقوانينه ؛ مما جعلني من القلائل الذين لم تلسع أسفل أقدامهم تلك الخيزرانة من القصب... صرخة واحدة من صرخات أحد التلاميذ التي كانت تخترق صرامة جدران القاعة وسقفها الشامخ كفيلة بإشعارك كم هي لسعاتها مبرّحة... تجاوزت حي السويقة ودخلت زقاق قصر حجاج ، وعلا عزف قلبي لأنغامه المتعبة من الهيبة ، استعنت بآية الكرسي أتلوها مرة تلو المرة وأدعو الله أن يسعفني .

دخلت القاعة وللمرة الأولى أنظر إلى وجه الشيخ ممعناً النظر في " عينه الكريمة " ؛ ليرى صدق عينيّ ، وقلت له رغماً عني آسف على التأخير . وما هي إلا برهة محدودة حتى انكشف جرمي الأكبر بمجيئي دون واجب ؛ فلقد كان أستاذ المادة التالية سليم قمحة رحمه الله يشعر أن عدم كتابة الواجب تطابق الكفران... أصدر أمره الحازم... " ارفعوه فلقة " ، فكنت كمن جاءه الموت وهو تارك للصلاة... لأن الذين يقومون بالمهمة هم من المخضرمين في حلقة الدرس ، يكبروننا على الأقل بسنتين وربما أكثر ، ولقد كانوا مدربين على هذه المهمة ، فهم دائماً على أهبة الاستعداد ، وخلال دقائق كنت مرمياً على المقعد بين أيدي خبراء التعذيب الأبرياء ، فهم جنود مثلي لا حول لهم ولا قوة ، مكبل اليدين

| عنوان المقال : دعوة عامة | الكاتب : سها عبد الحميد أحمد |
|---|---|

مرفوع القدمين أستقبل الخيزرانة التي كان يغيظها أنها لم تمسني بعد... ولم تسعفني توسلاتي ولم يشفع لي سلوكي قبل ذاك اليوم ، ولم تسعفني حتى طبقات القطن المحشوة في جواربي... لكن فضل آية الكرسي... فلقد رفع الأذان لصلاة الظهر . ونادى المشرف على الكتاب : استعدوا للصلاة . تحملت وقتاً أطول من بقية التلاميذ وقد كنا نسرع لأداء الصلاة في مسجد النقشبندي المجاور للكتاب لنسوي الصفوف ونستقيم ونستعد لأداء الفريضة وكأن على رؤوسنا الطير ، لا يجرؤ أحدنا على أدنى التفاتة .

وها أنا الآن في مسجد يبعد آلاف الأميال عن مسجد النقشبندي ، تقام فيه الصلاة ليتقدم طلاب مدرسة تعليم العربية والدين . يكاد يتلعثم الإمام في تلاوته باذلاً من العناء ما يقدر وما لا يقدر ليُسمع صوته... ضحك وضوضاء وصراخ والمشرف ينادي ويؤنب ويرجو وما من مجيب... وتنتهي الصلاة ليقترب المعلم من أحد من أصر على الشغب بصورة عجيبة ، ليمسك أذنه معاتباً ومؤنباً وفاقداً صبره .

وأثارت الحادثة ضجة فيها ما فيها من الاحتجاج والاستنكار ، مع أنه لو قدّر لأحد مشايخنا حضور هذا الجمع لاستهلك مائة خيزرانة وخيزرانة . وعند مرافقتي لبعض الأولاد إلى بيوتهم كان حوارهم حوار القضاة ، حول مجرم قبض عليه بالجرم المشهود ، وأثناء ذلك عدت بذاكرتي إلى الوراء لأترحم على مشايخي وأدعو لهم بالمغفرة والثواب . وبصدق وحب انتهى حوارهم بقرار شكواه للسلطات القانونية... عليه أن يلتزم حدوده ويعلم أين يعيش " الضرب هنا ممنوع ".

إنني على ثقة أن هذه العقوبات تزيد الأمر سوءً ، علينا أن نربي أولادنا بغير الطرق التي رُبينا عليها... على أصل التربية الإسلامية ، وسنجد فيها الحلول لكل ما نعانيه .

إن أولادنا في الغرب لا يقرؤون تاريخ أمتهم العريق ، ولا يدرسون حياة الرجال الذين صنعوا البشرية ، ويجدون صعوبة بالغة في فهم لغتنا التي تكمن في أغوار أنفسنا ، لكنهم من خلال خُلقنا وآدابنا كمربين ومربيات يستمدون المعرفة بدينهم ، ومن خلال صبرنا وصدقنا مع الله سيتمسكون بهويتهم ويعتزون بها . إنهم لا يرون من حضارة هذه البلاد وهم يعيشون في كنفها إلا القدر الذي تسمح لهم به... ألوان قشورها القزحية . فلنجعلهم يرون من خلالنا سماحة هذا الدين وعظمته ، وليكن لنا في رسولنا

الكريم أسوة حسنة برحمته كمعلم ، وهو القائل : « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده » ولنستشعر معاناتهم العميقة التي لا يجدون بأنفسهم القدرة للتعبير عنها ، وهم في غالب الأحيان يتلقون منا الكثير من التعاليم والمبادئ ليواجهوا بها في محيطهم ومدارسهم ومجتمعاتهم النقائض التي يعيشونها كحقائق .

بالحب والثقة بهم والاحترام لهم ، وبالحلم مع العلم ، سيكونون بعون الله وإرادته كما نريدهم ، وكما يجب أن يكونوا .

## الهوامش :

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين : ج١ ، ص٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) قول لابن جماعة .

(٤) ابن عبد البر القرطبي ، جامع بيان العلم وفضله : ج١ ، ص ١٢٥ .